ولله جنود السموات والأرض

الحمد لله ذو البطش الشديد، ذو العـرش المجيـد، يحكم بمـا يشـاء، ويفعل ما يريد، نصر دينه بجند التوحيد، وكبت عدوه وهو في مزيـد، والصلاة والسلام على هادي الأمة الأبر، صاحب الجبين الأغر، بـراق الثنايا كريم المخبر، أما بعد:

فهـا هي أمم الغـرب اليـوم تتفـاخر بمـا وصـلت إليـه جيوشـها من خبرات عالية، وتدريبات قتالية داهية على كافة الأسلحة المصنوعة، والتقنيات المشروعة وغير المشروعة، بل وتعـالت على أمم الأرض جميعهـا - وبخاصـة أمـة الإسـلام - مغـرورة بتكنولوجياتهـا الفتاكـة، وقذائفها الدكاكة؛ التي بلغت مدىً لم تبلغه أي أمة من الأمم قبلهـا في تصوراتها المادية البحتـة، ممـا كـان مـدعاة لهـا إلى الغطرسـة والعنجهية، وإملاء شروطها على دول العالم الإسلامي بقوة الحديد والنار، وعظمت في قلوب بعض المسلمين حتى أصبح يخشاها أكثر من الجبار المنتقم، وخضع لها من خضع، وركع لشـروطها من ركـع والله المستعان.

ونسى هؤلاء أو تناسـوا أن هنـاك قـوة أعظم من قـوى أمم الكفـر مجتمعة لو استندوا إليها، أو استمدوا منها؛ لملكوا الشرق والغـرب: فـ{الْقُوَّةَ لِلّـهِ جَمِيعـاً}1، {إِنَّ اللَّهَ لَقَـوِيٌّ عَزِيـزٌ}، إنهـا قـوة جنودهـا {جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}2، ومع هذا فـ{مَا يَعْلَمُ جُنُـودَ رَبِّكَ إِلَّا هُـوَ}3، فماذا عسى الغرب أن تنفعه تكنولوجياتـه المتحضـرة، وأسـلحته الفتاكة، وجيوشه الجرارة؛ أمام جند اللـه الـتي ليس لهـا حصـر، ولا يعرف لها عد.

مـاذا تجـدي قنابلـه النوويـة، وقذائفـه العنقوديـة الـتي أرهبـوا بهـا العـالم، وأخـافوا بهـا الأمم؛ أمـام جنـد اللـه الـتي ملأت السـموات والأرض؟.

ماذا تصنع طائراته النفاثة، ومراكبه القذافة؟ إذا وقف أمامها جنود ربك: {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ}4.

إن الله سبحانه قادر في لمحة بصر، وخطفة برق؛ أن يساوي عالي هذه الأرض ببطحائهـا، ويـوازي جبالهـا الشـامخة برمضـائها، بـأمره فأمره بعد الكاف والنون {إِنَّمَا أَمْـرُهُ إِذَا أَرَادَ شَـيْئاً أَنْ يَقُـولَ لَـهُ كُنْ فَيَكُونُ}5، أو يسلط جندي من جنوده على من يشـاء {وَمَـا كَـانَ اللَّهُ لِيُعْجِـزَهُ مِن شَـيْءٍ فِي السَّـمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَـانَ عَلِيمـاً قَدِيراً}6، فهذه جنوده عبر الأزمان قد سـلطها على كثـير من الأمم، لم تملك في دفعها شيئاً، ولم تستطع لها ممانعة، فالجند جند اللـه، والقضية. {وَلَوْ يَشَاء اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ}7

فمن جنــده الملائكــة الكــرام، {وَلِلَّهِ جُنُــودُ السَّــمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} والسماوات السبع ملأى بهم فقد جاء عن أبي ذر - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطَّت السماء، وحُقَّ لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله))[8]، فيبعث الله - عز وجل - ملائكته مجندين مع أولياءه المؤمنين ليحقق بهم النصر المبين عند التقاء الصفين، ودوران رحى الحرب يقول سبحانه: {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ}[9] يقول أبو أمامة بن سهل بن حنيف: قال أبي: "يا بني لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا ليشير بسيفه إلى رأس المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف"[10]، ومعلوم أن جبريل - عليه السلام - كان يتنزل مع غيره من الملائكة في غزوات النبي - صلى الله عليه وسلم - كما في بدر وأحد والأحزاب؛ ليسانده ويعضده في قتاله ضد أعدائه، يقول شيبة: خرجت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والله ما أخرجني إسلام؛ ولكن أنفت أن تظهر هوازن على قريش، فقلت وأنا واقف معه: يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إني أرى خيلاً بلقاً، قال: ((يا شيبة إنه لا يراها إلا كافر - يعني الملائكة -)) فضرب يده على صدري ثم قال: ((اللهم إهد شيبة)) فعل ذلك ثلاثاً.."[11].

ولذلك كان أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - يعرفون قتيل الملائكة ببنانه؛ لأن الملائكة تضرب بنانه يقول سبحانه:[12]..

ومع أن الملائكة جنود الله - عز وجل - إلا أنهم لا يُرَون[13] وكيف السبيل لقتال جنود لا يُرَون، ولا يُشَاهَدُون، وهذا من قدرة الله، وهم من جند الله - عز وجل - {وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}.

ومن جند الله - تعالى - الرعب كما قال سبحانه: {سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ}[14]، وهذا الرعب والهلع قذفه الله في قلوب يهود بني النظير الذين تمالئوا مع الأحزاب، وجاء ذكره في القرآن في موطنين:

الأول في سورة الأحزاب {وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً}[15]، والثاني وفي سورة الحشر {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ}[16]، ولقد خص سبحانه هذا الجندي لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - من بين سائر الأنبياء جاء عن جابر - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت

بالرعب مسيرة شهر، ....))[17]، ولعلنا نلمس أثره جيداً في أمم الكفر عامة وفي أمة يهود خاصة، فبالرغم من ترسانتهم المدمرة؛ إلا أنهم يتطايرون فزعاً عند طلقة رصاصة، فإذا أصيب العدو بالرعب فإنه لا نصر له بحالٍ من الأحوال. {وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}

ومن جند الله - عز وجل - الريح: وقد أهلك الله - عز وجل - بها قوم عاد الذي اغتروا بقوتهم فقالوا في غرور وكبر يخبرنا العليم سبحانه عنهم: {فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ}، فكان الجزاء جرآء عتوهم {ف{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ}[18]، فلما رأوا مقدماتها {قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا} فرد الله عليهم بقوله: {بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} فسخر العظيم بقدرته هذه الريح عليهم {سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ}..

وسلط الله الريح على الأحزاب المتحزبة على النبي - صلى الله عليه وسلم - كما قال سبحانه: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً}[119] يقول مجاهد - رحمه الله -: "سلط الله عليهم الريح فكفأت قدورهم، ونزعت خيامهم حتى أظعنتهم"[20]، فكانت لا تقيم لهم بناء، حتى قال بعضهم لبعض: "إنه لا يمكن أن يكون لكم المقام، فهلموا واذهبوا وارتحلوا فإنا مرتحلون"، وهكذا تكون الريح من جند الله {وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}.

ومن جند الله أيضاً الزلزلة وهي على ضربين:

زلزلة معنوية كما قال جبريل - عليه السلام - لما انتهت معركة الأحزاب؛ فجاء إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - فقال: ((وقد وضعت السلاح؟ فإن الملائكة لم تضع السلاح، اذهب إلى بني قريظة فإني ذاهبٌ إليهم فمزلزلٌ بهم)) فزلزل قلوبهم بالخوف والفزع والهلع، فأصبحوا مهزومين قبل أن يخوضوا المعركة.

ثم هناك الزلزلة الحقيقية للأرض، فإن الله - سبحانه وتعالى - قد يسلط الزلزلة على عدونا، فيزلزل الأرض من تحت أقدامهم، فتتساقط بيوتهم، وتدمر مصالحهم، وتميد بهم الأرض يمنة ويسرة، وقد يأذن سبحانه للأرض فتخسف بهم، فتفتح فاها لتبتلع أعداءها، وهذا ما لمسناه جلياً في بعض دول الغرب يقول سبحانه: {وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ}[21]، وهم على الرغم من كل احتياطاتهم

لمثـل هـذه الـزلازل إلا أنهم لم يسـتطيعوا تفاديهـا، فهي من جند الله الذي له{جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}.

ومن جند الله الطوفان الذي أهلك الله به قوم نوح، ونجا به نوحـاً ومن معـه من المؤمـنين، ولـك أن تتأمـل كيـف أن اللـه - سـبحانه وتعالى - سلط هذا الجندي الـذي سـخره لمنفعـة العبـاد {وَهُـوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْـهُ حِلْيَـةً تَلْبَسُـونَهَا وَتَـرَى الْفُلْـكَ مَـوَاخِرَ فِيـهِ}[22] على قـوم نـوح لمـا كـذبوا رسـولهم، وأعرضوا عن سـبيل ربهم؛ فنـالوا جـزاءهم {فَفَتَحْنَـا أَبْـوَابَ السَّـمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَـدْ قُـدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِـرَ * وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ}./span>

وبنفس الطوفان هلك طاغية من أكبر طغـاة البشـرية إنـه فرعـون وجنده، الذي ظن أنه قد تفرد بالتصـرف في الكـون فقـال مقولتـه الخبيثة: {وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَـهُ لِيُفْسِـدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَـاءَهُمْ وَنَسْـتَحْيِي نِسَـاءَهُمْ وَإِنَّا فَـوْقَهُمْ قَـاهِرُونَ}، فمـاذا كـانت النتيجـة؟ {فَأَخَـذْنَاهُ وَجُنُـودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْـفَ كَـانَ عَاقِبَـةُ الظَّالِمِينَ} فقولـوا لي بـربكم: أي قـوة على وجـه الأرض مهمـا بلـغ تقـدمها، ومهمـا بلغت التقنيـة الـتي تمتلكهـا؛ تسـتطيع أن تصـمد في وجـه ميـاه عاتيـة، وأمواج متلاطمة؛ غطت رؤوس الجبال، وكم نسمع اليوم عن سفن لـدول بلغت قمـة التطـور والتقنيـة البشـرية؛ غـرقت في البحـر، فوقفت تلك الدول بكامل تقنياتهـا عـاجزة أمـام القـدرة الإلهيـة لا تستطيع أن تصنع شيئاً.

ومن جند الله الحكايات كمـا نقـل عن بعض علمـاء السـلف قـولهم: الحكايات جند من جنود الله - تعـالى - يثبت اللـه بهـا قلـوب أوليائـه، وشاهده قول الله - تعالى -: {وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْـكَ مِنْ أَنبَـاءِ الرُّسُـلِ مَـا نُثَبِّتُ بِـهِ فُـؤَادَكَ}[23]، وهـذا فن بحالـه، وقـد اسـتخدمه القـرآن في مواطن كثيرة، فهل استخدمناه في دعوتنـا لأبنائنـا وللنـاس؟ قـال الإمــام أبــو حنيفــة - رضــي اللــه عنــه -: "الحكايــات عن العلمــاء ومحاسنهم أحب إلي من كثير من الفقه؛ لأنها آداب القوم".

ومن جند اللـه الفيضـانات، والـبراكين، والحجـارة من سـجيل الـتي أنزلهـا اللـه - عـز وجـل - على أصـحاب الفيـل، وكـل مـا على هـذه الكواكب، وما يجري في الكون يمكن أن يكون جندي من جنـود اللـه متى شـاء اللـه {وَمَـا يَعْلَمُ جُنُـودَ رَبِّكَ إِلَّا هُـوَ}[24]، وهـذه كلهـا مجـرد أمثلة.

لفتة أخيرة:

فما الذي يخيفنا أو يفزعنا إذا كان الله - تعالى - معنا {ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ

هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا}25، وله كل هذه القوى، وجنوده ملء السموات والأرض، وكيف يتصور أن نهزم، أو يتغلب علينا أعدانا؟ وهو من تكفل بنصرنا، ودحر عدونا {**وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ**}26 غير أننا بحاجة أن نأخذ بمقومات النصر وأسبابه، فكل هذه الوسائل يجريها الله - تعالى - لجنده المخلصين الصادقين بعد أن يستفرغوا وسعهم في الأسباب المادية، وتجنيدها، والإعداد، والتعبئة، ثم تقصر بهم وسائلهم المادية عن تحقيق غايتهم، فيسخر الله - تعالى - لهم كل هذه القوى والأسباب التي ليست بأيديهم.

نسأل الله أن ينصر الحق وأهله، ويخذل الباطل وحزبه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

1 (165) سورة البقرة.
2 (7) سورة الفتح.
3 (31) سورة المدثر.
4 (31) سورة المدثر.
5 (82) سورة يس.
6 (44) سورة فاطر.
7 (4) سورة محمد.
8 رواه الترمذي برقم (2234) وابن ماجه برقم (4180) وأحمد برقم (20539)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير برقم (4214).
9 (12) سورة الأنفال.
10 (4/33) الدر المنثور.
11 (5/146) دلائل النبوة.
12 (27) سورة محمد
13 (9) سورة الأحزاب.
14 (12) سورة الأنفال.
15 (26) سورة الأحزاب.
16 (2) سورة الحشر.
17 رواه البخاري برقم (419) ومسلم برقم (810).
18 (16) سورة فصلت.
19 (9) سورة الأحزاب.
20 (7/402) فتح الباري.
21 (31) سورة الرعد.
22 (14) سورة النحل.
23 (120) سورة هود.
24 (31) سورة المدثر.
25 (40) سورة التوبة.
26 (173-171) سورة الصافات.